القول، المرأة والثورة التحريرية

عبد القادر خليفي

مقدمة

اندلعت الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي في أول نوفمبر من سنة 1954 تحت قيادة جبهة التحرير الوطني، وألف الشعب الجزائري تحت لوائها. وصدقت بذلك مقولة العربي بن مهيدي، قائد الولاية الخامسة آنذاك، وهي: القوا بالثورة إلى الشارع فإن الشعب سيحتضنها. وتوحدت كلمة الشعب الجزائري من أقصى البلاد إلى أقصاها لأول مرة منذ دخول الفرنسيين أرض الجزائر.

وقامت جبهة التحرير الوطني بتعبئة الشعب الجزائري من أجل القضية الوطنية بواسطة مدافعيها ومحافظيها السياسيين وجردتها "المجاهد" وإذاعتها التي كانت أحد ركائز ووسائل توصيل الخطاب الثوري للجماهير الشعبية بكل فئاتها.

وكان لفنون القول الشعبية دورها الفعال، هي أيضا في هذه العملية النبيلة بواسطة الكلمة الشعبية البسيطة من أفواه مبدين عصامييين، هم من أوساط الشعب المقهور، يتحدثون لغته اليومية ويعيشون مأساته كغيرهم. خرجوا عن الصمت المطبق إلى الكلمة المبردة عن النفس الجريحة، تبكي المأساة وتحمل على تضميد الجراح التي لم تنتمل، وتتفتح للشعب الأمل العريض من أجل غد أفضل ومستقبل واعد.

* أستاذ محاضر بقسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران.
"وتنظيم القصائد والأغاني الشعبية تردها الألسنة ويتغنى بها الأطفال في كل مكان، ترفع من معونات المجاهدين ومعونات الشعب، وتعرض الكثير من وسائل الإعلام وأجهزة الدعاية التي كان يستعملها المستعمرين، ولا تملك منها الثورة إلا أحساسي وألحانها وكلمات مؤثرة تزيد الثورة كل يوم قوة على قوة."

وكان فن "القول" أحد أبرز وسائل التعبئة والنضال لرقص الصوف وتوحيد الكلمة.

القول

القول لغة هو الكلام والتلفظ والمخاطبة. والقوال والقول هو الحسن القول والكثيرو. والقوال في اصطلاح الرجالين من يقول الأزجال ارتجالا.

وهكذا يقترب المعنى الفصيح من المعنى العامي المقصود؛ لأن القوال في هذا الأخير يعني الشاعر الشعبي الذي يقول الشعر طبعا. ويتطق حرف القاف هنا مفخما فيما يشبه نقط المصريين لحرف الجيم.

ويستخدم أحد الشعراء "تسمية القول في الشعر الشعبي كما في البيتين التاليين:

يا ناس صلوا على الرسول
باسم الله يبتث القول

اللي مات للبنة والقصور
وسبعين من بنات الحور.

وتطبق تسميات أخرى على الشعر الشعبي لا مجال للتعرض لها الآن، لأن ما يهمنا هنا هو كل ما يرتبط بكلمة "القول" التي تدخل في عنوان هذه المقالة. فبالإضافة إلى مasjeق قوله حول

---

2. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، الطبعة 26، بيروت، بدون تأريخ.
نصوص

القول، المرأة والثورة التحريرية

مصطلح "القول" نجد له تفسيراً أخر في المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر، وفي منطقة جبال القصور تحديداً. هذا التفسير يعني نوعاً من الشعر الشعبي الذي كان يُغني ولا يزال من قبل النساء في الأفراح العائلية وخلال المواسم المحلية؛ إلا أنه أخذ مدنولاً جديداً خلال الثورة التحريرية 1954-1962. إنه شعر شعبي ودني ثوري يدخل في إطار ما يُدعى بالأدب النضالي الذي واكب تاريخ الشعب الجزائري خلال المرحلة الاستعمارية 1830-1962، والذي كان من أهم أعراضه التعبئة الشعبية وربط الجماهير بأصولها والتعبير عن مآساتها بالكلمة الشعبية البسيطة. ويتميز هذا "القول" بخصوصيات محددة، أهمها:

- أنه يُغني من قبل النساء جماعياً في جلسة ذات شكل دائري بمساحة آلية الدف التقليدية (البندير)، ولا يلغى إلاً كما هو معروف عن بقية الأشعار الشعبية الأخرى.

- يُغني أيضاً أثناء رقصة الصفا التي تنقسم فيها الراقصات إلى صفين متقابلين، يتحركان نحو بعضهما ثم يبتعدان مسيرة للحن ولضربات البندير الذي تحمله بعضهن، كما يغني في رقصة ثانية وهي الحيدوس.

- هو عبارة عن مقاطعات في مجمله، إلا أننا قد نجد أحياناً قصائد متوسطة الطول تدخل في هذا المجال.

- هو شعر جماعي مجهول المؤلف لأنه كثيراً ما يتم ارتقاله أثناء جلسة الغناء.

وقد قمنا بجمع بعض المقطوعات من هذا النوع الذي واكب الثورة التحريرية في المنطقة المذكورة أعلاه، وسنعرض إليه من خلال مواضيعه، أي أننا سنقوم بدراسة موضوعات.

- النغني ببطولة المجاهدين

البطولة ميزة يرتفع بها الشخص عمَّن حوله من الناس العاديين ارتفاعاً يملأ نفوسهم له إجلالاً وإكباراً. والبطل هو ذلك الشخص
الذي كثيرا ما يخلق منه الوجدان الشعبي مثاله ونموذجه في الحياة،
أي لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان.
والبطل صاحب حق وصاحب رسالة واضحة، تدفعه مبادئه
للعمل وفق رؤية معينة للحياة، وهو شخصية إيجابية "تعيش
القضايا وتؤمن بها حتى النخاع وتحصل ب حياتها من أجل هذه
القضايا رغم تعقد الواقع وضبابيته."  
والشعر هو الوسيلة الناجحة للتغيير بالبطولة والشجاعة بوصف
الأبطال في حومات وغيم وبلائهم ضد الأعداء. وهو "أغزر مادة
 أدبية وأثقلها فنا وأكثرها تأثيرا. لأن الشعر خير معبأ عما يحتاج
في النفس، والقصيدة هي اللون الأكثر ملاءمة والأسرع تجاوبا
واعتناقا والتصاقا بالحدث اليومي للثورة."  
وها هو قوة البديل المتناول بين النساء تطرق هذا الميدان بكل
قوة، فيمدح المجاهدين ويذم جيش الأعداء:
آ الزّعام نُؤّرَ الجبال، وزئش فرانسا رّأة أذال.
وتحدث المرأة عن هزيمة العساكر الفرنسية وتست عن قواتهم في
المعركة، وتحيى في المقابل جنود جيش التحرير الوطني الذين
كان النصر حليفهم وقول:
خلاو الشابو يرّماي بوجّور عّليكم يا الزّعام.
وعن استعراض جيش التحرير وقوة أسلاحه الحديثة التي تتفتك
بالأعداء:
آ زئش التحرير فاييت منا
الموروطي والغشريات
والموروطي راه عند
الرّياس.

عبد القادر خليفي

4 عهد الحميد بوراوي، منطق السرد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994، ص:
97.
5 أنسية بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأديبة حول الجزائري، منشورات المتحف
الوطني للمجام 1995، ص 65.
6 الزئش: هو الجيش وقد قلبت الذين زارا لتسهيل النطق بها.
المعروفي: كلمة فرنسية تعني سلاح الهاون.
7 المطاك: جمع لكلمة طنك وهي كلمة أجنبية تعني دبابة.
8 Tank.
القول، المرأة والثورة التحريرية

أولاد الدزاير في وسط الما

الزعماء

يا الزعماء أصحاب الزيش.

ومن أماكن تواجد المجاهدين بالغالبة وبنائهم لمركز نظامية

مجهزة تقول المرأة:

لأ تحسادوا الزعما ساكنين الغابة

رأس الجبل

أ دائرين بسط في 

الغابة

الزعماء بارودهم نميل

يشمُشي

آ رأسين وين خليت الرعيه؟

الأقراس.

وفي التغني بما فعل المجاهدون من أعمال يُندحو من أجلها

يرد ما يلي:

وأه ما داروا أولاد سيد الحاج المجاهدين وآه ما داروا

رفدو سلاحهم لبسوا منيتي "وأه ما داروا

سمحوا في الذراري والوالدين وأه ما داروا

أولادنا أولاد ستبكتور

الزيبان: تعني الروساء أو الزعماء.

القرطاس: كلمة تعني الذخيرة، أو هي الطلقات التي تخرج من فوهات الأسلحة.

يقصد بذلك الزيزية التي يوضع داخلها الماء لأنها سهولة الحمل على ظهر الشخص.

وربما استعملت لإخفاء السلاح.

الدزاير: هي الكلمة العامية لاسم الجزائر.

لا تحسادوا: أي لا تظروا.

كلمة أجنبية تعني مركز.

Post: بسط.

قراءة: هي جمع لكلمة قريب Gourbi وهى كلمة فرنسية تعني كوكخ.

نميلي: بمعنى جيد، وبارود نميلي: بارود من النوع الجيد.

كلمة فرنسية تعني عسكرية.

Militaire: منيتي.
عبد القادر خليفي

راجعوا البيرو جروح من الناس
حرقوا الكار وزادوا مولاها
وصدوا في الطيارة كالبرطل
ابراهيم وحيي بوشريط
تيموا أباهم زاروا ومُشاوا
سيدي معمر في واده ماسر الخدمة
العسكر واللايجو داي مينا
أولاد العلج كالنخالة والبركة في أولاد الوطن
واد ما داروا واد ما داروا
ماتسَد السجن يسحاها
وتخطاب المرأة الغابة كي تخفى وتحمي المجاهدين بأوراقها
وأغصانها وبناباتها المختلفة:

الغابة تووري نوري
أنوري يا الغابة نوري
الغابة حُنية درَقت أولادنا
نوري يا الغابة نوري
أنوري درقي ذاك الشباب
نوري يا الغابة نوري
أنوري درقي ذاك الشباب
بسط والغناية في رأس الجبل
نوري يا الغابة نوري
أنوري درقي ذاك الشباب
نوري يا الغابة نوري
أنوري درقي ذاك الشباب.

البرطل: كلمة محلية تعني الطير.
18
إبراهيم وبوشريط ومنصور وسي امحمد، هي أسماء لبعض المجاهدين في المنطقة الجنوبية الغربية.
19
تَّمُّ: وَتَّمُّوا بَعْمَى مَّرَوَا بالمكアン.
20
كلمة فرنسية تعني نوعا من المجندان الأجانب مع القوات الفرنسية La Légion: La Légion étrangère كمرتزقة.
21
اللايجو: هو الورد والزهرة، أي أزهَّري أيتها الغابة لإخفاء المجاهد عن العدو الفرنسي.
22
يُسِحَّاح: بمعنى يظن.
23
بسط: كلمة فرنسية تعني مركز. والغناية: هي الحاكي المستعمل آنذاك للغناء Poste.
24
وسطة الإسطوانات.
وتتندى المرأة العدو للإقترب من أماكن تواجد الثوار، لأن الاستعمار تعود على صب جام غضبه على المدنيين، بدل مقابلة جنود جيش التحرير في الجبال، وبخاصة جبل الأوراس الذي أصبح رمز الثورة والصمود.

الروبيان الصفراء إلى فيك النيف أحمر على جبل لوريس

الرومي وا زُرق العينين رانا ما دَرْنُاش بالطيارة وهو فرنسا الغدَّارة.

 وعن تضحية المجاهدين بالمال والولد في سبيل تحرير الوطن: أخلوّا المال مع الأولاد أطلعوا للجبل يجاجدوا.

 وتشجع المرأة المجاهدين وتحرضهم على الصبر والثبات والتحلب على المحن والشداد والإكال على الله الذي لاشك أنه ناصرهم فتقول:

 زيدوا يا أولاد الذَّارِرُ زيدوا واللي دارها ربي السَّاغ تكون آ الساكِنين الجَبْل للا ما وتدعو لهم بالنصر والنجاح: عازنهم يا العَزيز ربي أراك يدا قوا في الجبال يا كنُو مع خويا.

 وعن إلقاء القبض على الزعماء الخمسة في 22 أكتوبر من سنة 1956 والقرصنة التي وقعوا فيها من قبل الطيران الفرنسي، وهم في اتجاههم نحو تونس قادمين من الرباط على متن الطائرة التي كان ربانها فرنسيا، وذلك في إطار التشاور وتوحيد الجهود بين الزعماء المغاربيين، جاء ما يلي:

 كي شيبتني هذا الأخبار فرنسا قضىوا الزعما. كما تعرضت هذه المقطوعات لمناطق المحرمة التي جعلها الاستعمار الفرنسي أراضٍ لا يسكنها أحد، منعا لاستعمالها من قبل الروبيان: نوع من الطائرات اشتهرت بالقصف والتدمير في فترة الثورة الحريرية.

25 يدا قوا: بمعنى يحاربون.

26
ثوار جيش التحرير الوطني. فبعد اندلاع الثورة مباشرة تم تحديد مناطق سميّت "غير آمنة" Zones d'insécurité إجباريا. وقد تحولت تسمية هذه المناطق إلى "مناطق محرمة" Zones interdites الساعات فقط لإخلاء المكان والالتحاق بمساحة محددة. وأحيانا، ومن أجل الضرورة الأمنية، يحل الجيش الفرنسي فجأة ويحاصر القرية ويقوم هو بنقل سكانها نحو المركز المحدد القريب.

لقد أرادت السلطات الفرنسية من ذلك تطبيق طريقة ماو تسي تونغ القائمة: "يعيش الثائر بين السكان مثل السماكة في الماء، فإذا فقد الماء مات السماكة." وكان الهدف من تجميع السكان هدف عسكري واحد هو تجويّع "الفلاحة" وحرمانهم من كل اتصال بالسكان. "التعجمع هذا يعني في نظر العسكريين الفرنسيين عبارة عن حرب حلف تسمح بقطع جيش التحرير عن قواعده الشعبية والدعم اللوجستي الضروري له (أغذية، تجنيد، إلقاء، معلومات...).

فـ "منذ 1956 أخذت فكرة التجمع طابع الخطة المنظمة المستمرة لإخلاء كل المناطق -التعفنة- بالثوراء، من السكان وجعلها مناطق محرمة يحرق فيها كل شيء تطبيقاً لخطة الأرض المحروقة." وقد شملت كل المناطق التي تمتاز بضاريسها الوعرة ويصعب على الجيش الاستعماري مراقبتها والسيطرة عليها، ومنها المناطق الحدودية.

وهي مناطق واسعة من البلاد كان على السكان الجزائريين إفراغها حيناً، لأن القوات الفرنسية ستضرب كل شيء يتحرك على وجه هذه الأراضي، مما أدى إلى تشريد السكان وانتقالهم إما إلى المحتشدات -التي أقامتها السلطات العسكرية الفرنسية- رغم


IBID. PP/62-63.

بيجي بوزي، ثورات الجزائريين في القرنين التاسع عشر والعشرين، دارالبعث، قسنطينة 1980، ص: 393.
عنهم، أو إلى البلدين الشقيقين المجاورين المغرب وتونس؛ مما سيؤدي إلى بروز ظاهرة الهجرة. وتسمى الأغنية هذه الجهات بكلمة "حُذاء"، لأن المناطق الحدودية كانت إحدى أهم المناطق المحرمة، من حيث كان السلاح يتسرب. وقد أقام السلطان العسكريه الفرنسية الأسلاك الشائكة المكهرة والملزمة على الحدود الشرقية والغربية، فيما ذُعِي بخط شال وموريس، لمنع كل تسرب للأفراد أو الأسلحة أو غير ذلك مما يأتي من الخارج لدعم الثورة في الداخل.

وكانبت بعثة جبهة التحرير الوطني في الخارج هي المكلفة بتوفر السلاح الذي كثيرا ما كان الفرنسيين يستولون عليه في عرض البحر أو قرب الموانئ التي كان ينتظر زُرُع السفن بها. ورغم كل هذا استطاع جيش التحرير الوطني استغلال هذه المناطق والمرور منها متحديا القوات الفرنسية.

وأما أن منطقة عين الصفراء هي منطقة حدودية مع المغرب الأقصى، فقد ركزت الأغنية على هذا النوع من المناطق المحرمة التي استغلها جيش التحرير، وأصبح ينتقل عبرها بكل حرية:

اليقتو عين الصفراء حُذاء
الزعماء خَوْسُوها بنهر
يا الرئيس اللي ماتوا في الحذاء
وينَ كنُتو يا زيش التحرير؟

وتدعو المرأة الجندي للرافق بأخيه المجند حديثا، وتدعوا الجميع إلى التضامن والتعاون لتحقيق الهدف المشترك وهو تحرير الوطن.

وتقول:

آ الجندي حاول على خيَّك الصحرا بعيدة والسلاح تقبل
آ داويا يا سيد الطبيب وَحَاوَل الجندي ما مَوْلَفُ بِجُراح.
أما التغني بشخصيات ذاتها فتُرد العديد منها ضمن المقطوعات التي تم جمعها ميدانيا. فعن جمال عبد الناصر زعيم

أنظر: 
Mohamed Teguia, L'Algérie en guerre, O P U, Alger sans date, P/359 et suite.
ثورة 23 يوليو 1952 المصرية، التي أطاحت بنظام الخديوي الملكي، والتي كانت عاصمتها القاهرة مقرا لمكتب المغرب العربي الذي أسسته الحركات التحريرية المغربية في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين، وكانت بعثة حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية الجزائرية أحد هذه الحركات التحريرية. هذه البعثة التي أصبحت ممثلة لجبهة التحرير الوطني منذ اندلاع الثورة سنة 1954، كما أصبح صوت الجزائري مدعوً من إذاعة القاهرة للتعريف بالقضية الجزائرية وثب الوعي في الأوساط الشعبية المختلفة.

من ذلك يرد مايلي:

شكون حَلْ الفتحة نتائج البابور. جمال عبد الناصر المذكور.

لاحظ أن صاحبة البيت الشعري كانت على علم بالأحداث؛ فذ
الفتحة نتائج البابور" هي قناة السويس التي أممتها الثورة المصرية سنة 1956، والتي أعقبتها العدوان الثلاثي على مصر في السنة نفسها بمشاركة فرنسا التي كانت تهدف إلى الانتقام من هذا البلد الذي كان يؤيد الثورة الجزائرية ويدعمها في كل الميادين، وبخاصة منذ المؤتمر الإفرو-آسيوي المنعقد بباندونغ سنة 1955 الذي حضره وفد ملاحظ عن جبهة التحرير الوطني، والذي أوصى بعرض القضية الجزائرية على الأمم المتحدة، وكانت مصر الثورة وبعض البلدان الأخرى ممن طالب بإدراج هذه القضية في جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر من سنة 1955.

ومن القصائد التي تتعلق بأبطال الثورة نجد هذه التي تخطب

"سَيْ امْحَمْدَ":

كيف ندير لك يا سي امْحَمْدَ جَبْةٌ 31
الشيء والمطلع في رأس الجبل.
كيف ندير لك لجيب جات

31 لجيب: Jupe نوع من السيارات السريعة التي كان الجيش الفرنسي يستعملها لمختلف مصالحه وفي ملاحقة الشعب الجزائري، لأنها الأقدر على ذلك أسرعتها وصيالية هيكلها.
تَوَكَّلَٰ على الدَّوَّة طَيْحًٰ ليِتَنِه. ٣٢
كيف ندير لك يا سي امْحَمَد كيف ندير لك لجيب جات
لَجِيب دَخَلت للدَّوَّار خَلَعْت الصَّغار.
كيف ندير لك يا سي امْحَمَد كيف ندير لك لجيب جات
لَجِيب تَجَرٰي والرَّزَايْز طَيْرَة. ٣٤
كيف ندير لك يا سي امْحَمَد كيف ندير لك لجيب جات
اِمْيَمْتَه تَبَكي وَخَبِيَه تِسْتَكْي.
كيف ندير لك يا سي امْحَمَد كيف ندير لك لجيب جات.
وَهَاهٰي قصِيدَة أخرى عن بطل آخر من أبْطال الثَّوَّرة التَّحَرِيرِيَّة
هو "منَصُور" جاء فيها ما يلي:
شُوْفوا لِيِشَارٰٓ ٣٥ كَيْ جَارٰٓٞ مَنْين جَا للحَوْض مُوٓلَاةً كَي حَارٰٓٞ
وأَذْيَالٓ
وَقَال مَنْين ناَحْصٓٞٓ بَالعَسْكَر وَعَنَّدٰي غَيْر العَسْكَر وَاليَهُود
مَاَفِيهم فَتَنَةٓٞ. ٣٨
طَاحوا عَلَيهم بَنْهَار رَيْش الغَزَّار راَيْسَهم منَصُور
في الدَّزاَير بشَهْور
ما يَخاف لا مَن طَيَارَة وَلا من كُورٓٞ مُخْرَبْهُم حَرَّب.
التَّمَلَس
ما يَنقبِض عَلَى الْيَدِ.
وَعَن البَطل "عَبَد الوُهَاب" يِرِد ما يَلِي:
مِن الدَّزاَير حِتَى لَهْنَأَيْهٓٞٞ أن شا الله تَبَقَ لَآوْلاد الشَّهِدَا.
يا خوتي راني مذول بين مُشتى وحُريف قُدموا خويا
للسيلون
يا بن الخنزر لا تزيّر عُليه الكُورَدة أيديه مُختصين ما مَوالفش
بَتُمرمِد
يلكافر سامحني ننظر ونشوف في الليل مسلسل راسه
مكشوف
لالة سكسيون مَنَد عطشان
قال ما طقناش نضربوا من صَهَد الحُمَان
يا النّوي هُوّدي ربد للصحراء
يا لالة واس اداني لجبل العمر
يا لالة راه سيفط عبد الوهاب
يا لالة راه سيفط عبد الوهاب
قال غير كلمة وصلت
الزيش
حتى القافلة سَرْكَلوها
قالو كتوها هذو فلاقة
حتى الدقيق كُفوّة والسكر زيادة
لاقيس جندي ورافد بندقية
وأن تقول هذا فلوس
تحت الطابلة وعينه تخزر
كتلنا بزفوف والطيرة
والصانفَّيل تدّي الأخبار
زين التحرير دار خصلة كَبار
وزاد لقلمي نزاهة

السيلون: Cellule
الكوردة: Corde
البِسْتِر: هو الغين.
سكسيون: Section
النّوي: هي المطر.
سركّل: كلمة فرنسية تعني حافر.
Fellaga: كلمة أطلقها الفرنسيون على الثوار التونسيين والجزائريين.
زف وزفوف: بمعنى الضيِح. أي ألقننا ضبيَح الطائرات. والصانفَّيل: Sans fil
القول، المرأة والثورة التحريرية

زئش التحرير رأى غادي يَشْرَغ رحمن.

أنت تعاونه يا

لقد أبرزت هذه المقطوعات الشعرية بطولة المجاهدين الذين أدركو أن الموت حتى فقتلوه، وهكذا خطرت لحياتهم على ضوء هذا التقلب. ولم تنطف البطولات الفردية التي كانت في كثير من الأحيان نموذجاً يقتدي به، فثودت هذه وخلدت أسماؤهم. لقد دافع الثوار المجاهدون عن قيم ومبادئ آمنوا بها فخافوا بمصالحهم وحياتهم باسم معتقداتهم؛ فتقربوا الموت؛ لأن الموت في هذه الحالة يعتبر بمثابة حياة. يمكن أن يكون موتاً للفرد ولكن حياة بالنسبة لتلك القيم والمعتقدات أو التصورات أو المعاني.

ومن الدلالة الأكثر بلاغة أولئك المجاهلون من الشهداء الأبطال الذين قُوِضوا هدوء العدو وغطرسته. إنهم المجاهلون بالأسماء في مختلف مقامات الشعب الجزائري، حيث ارتقت بهم الشهادة إلى نكراذ الذات وارتقت بهم إلى السماء حاكموا الملائكة طهراً وروحانيةً ونصوصاً.

ولكن المرأة التي أوردت هذه المقطوعات لم تُفصِّل كل هذا عن واقع الناس، أي أنها لم تسحب في عالم الخيال والأحلام، بل كانت أقرب إلى الواقع، فهي عندما تتغنى ببطولة المجاهدين لم تنس ذكر الأعمال العدوانية للأعداء عن طريق المدامات وإقامة المعتقدات والمحتجشات واستعمال أحدث الوسائط لترهيب السكان، وأظهرت في المقابل نكراناً لهذه الأعمال الإرهابية والمشينة.

٢- تحدي المرأة ورغبتها في الجهاد

عاشت المرأة جنبًا إلى جنب مع شقيقها الرجل تدعم الثورة بالنفس والمال والولد، فكانت المجاهدة في ميادين القتال والفدائية في المدينة، وكانت الممرضة التي تسهر على راحة الجرحى

٥١ عبد القادر خليف، المأثور الشعبي لحركة الشيخ بوعمامة، أطروحة دكتوراه دولة، كلية الآداب اللغات والفنون بجامعة وهران، 2000-2001، ص: 313.
المحاضرين، وكانت الإدارية والمتعلقة والمحافظة السياسية، وكانت تظهر التعليم للمجاهد يأكل في بيته أو يحمل معه موئنته على ظهره ينقات منها بين الحين والأخر من الأنواع الغير القابلة للتعاون مثل "المعززة" أو "الطمنية" المصنوعة من دقيق القمح والسمن والتمر، وهي أكلة دسمة تحتوي على مقويات هامة وتستعمل لوقت طويل جدا.

"كانت المرأة في بلادنا وما زالت قلعة الصمود والمقاومة، عماد الأسرة وخزان الوطنية، حافظت على الإنتقاء الحضاري للأمة عقيدة وسلوكا، وبلغت ذلك الإنتقاء للابناء والأحفاد عن طريق التربية بواسطة الأحادي والأساطير الملمحاى والقصص الشعبية عن بطولات الأجداد للبقاء على جذوة المقاومة. في أحضانها نشأ وترعرع الأبطال من الشهداء والمجاهدين أبطال الحرية والمدافعون عن الكرامة والهوية."  

ودخلت الميدان بنفسها فساهمت بكل طاقاتها في خدمة الثورة على مختلف مستوياتها وطبيعتها الاجتماعية، وتحملت الصعاب في كل مكان كمحاربة أو مسيلة أو سجينة معتقلة. يقول عنها شاعر الثورة مفدي زكرياء:

وججل صوت نشيد اللواء فتعنو الرؤوس له خاشعة.

وبنت الجزائريات تتنو نشيد الغداري، فتصغي الدنا راكعة.

وهماه تتحدى ضغوطات الاستعمار وترفض السير في مخططاته، ومنها التصويت على دستور الجمهورية الفرنسية الخامسة في 28 سبتمبر 1958 الذي قدمه الجنرال ديغول للفرنسيين والجزائريين على السواء، باعتبار الجزائر جزء من الجمهورية الفرنسيّة.

أبو طارق محمد العربي، المرأة الجزائرية مشتيلة الثورة وحاضنة الوطنية، الملتقى الوطني حول كفاح المرأة الجزائرية، عنابة 9 و10 جويل 1996، مطبوعات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة 1 أوزار نوفمبر 1954، ص: 105.

مفدي زكرياء، إباد الجزائر، المعهد التربوي الوطني، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، بدون تاريخ.

يحيي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع والعشرين، منشورات المتحف الوطني للمجادد، الجزائر 1996، ص: 281.
القول، المرأة والثورة التحريرية

الفرنسية، وذلك رغم ما سيجر عليها هذا الرفض من تسلط وانتقام من قبل السلطات الاستعمارية:

ما نفطيش مع ديجول. وتطلب في الوقت نفسه بحقها في الكفاح والجهاد لثبت أنها أهل ل كثير من الأعمال التي يمكن أن تنادي إليها، لا فرق بينها وبين أخيها الرجل:

أصوات نساء عٍداساً مني
ونغشي مع ما الزعماً
وباء نذاعي المجاهدين.
وعن غياب المجاهد عن أمه وزوجته وأخته، والحزن عليه.

وعلى الوطن نجد ما يلي:

خوربة تبكي تشبث الأعراش
يرافقها.

ما نمشط ما ندير الحنة
أو:
ما نفرحة ما ندير الحنة
أدرك راه سارته حالة
غزيلك راه في هالة
إلى مات خليك راه في الجنة
هودي مولاك من راس.

الجبل.

وتنحرش المرأة بزعماء فرنسا الاستعمارية وتهجوهم شر هجاء
وتعمهم بنعوت مزلية وتقول:

يا ديجول ما زينته بهمة
نفيه طويل مليح لشماة.

---

السدر والقدول: موطن من النباتات الطبيعية الشوكية. والقوط ونفوطي كلمة Vote. فرنسية تعني الانخاب والتصويت.

كابوس: هو المستد.

كلمة فرنسية تعني مرض.

Infirmière: فرملية.

حمو: اسم لأحد جنود جيش التحرير الذي تغيث عن أمه خيرة أو خويرة أو أم الخير.
أو:

أ. ديجول ماهوش نتاع الهمة، نيفه طويل مليح للشمة.

وديجول هو الرئيس الفرنسي الذي جيء به سنة 1958 لينقذ الدولة الفرنسية الاستعمارية من غضبة الشعب الجزائري، فاتبع وسائل متعددة من أجل الحفاظ على هذه البلاد، لكن الشعب على لسان المرأة: البنين والأخت والأم، يرد بكل قوة رافضا التصويت على مخططات الجنرال (ما نفوطيش مع ديجول)، وهي تدعو إلى ترك الجزائر لأهلها والإهتمام بلده، وتبنى فشل سياسته مسبقا عن طريق الإستهقاء به (ديغول ماهوش نتاع الهمة. نيفه طويل مليح للشمة) أي أن سياسته ستوول إلى الفشل لا محاولة. مما جعل الرئيس الفرنسي هذا يقنع، بعد تردد، بوجوب الإسحاب وترك البلاد لأهلها، وسمع لهم بحقهم في تقرر المصري، حيث خاطب الشعب الفرنسي في 14 جوان سنة 1960 يقوله: "ما مصير الجزائري؟ إنه لم يدخل بخلدي قط أني سأتمكن، بين لحظة وأخرى، أن أحل هذه المعصلة المائحة منذ مئة وثلاثين عاما. إن حق الجزائريين في تقرر مصيرهم هو الحل الوحيد الممكن لأسامة معقدة ومؤلمة." 59

3- وعن الخونة أعوان الاستعمار

إذا كانت الأنفقة والعزة وختلف أنواع الفضائل من سمات الرجال الغيورين على وطنهم وأهلهم، فإن الصعف والإسكتانة والغدر بالأهل من سمات رجال آخرين احتاجوا لأنفسهم طريقا سهلا في الحياة، وسُلموا ضمائرهم لغيرهم خدمة لمصالح آنية ومكاسب فانية.

ويعد هذا السلوك ظاهرة شاذة، ساعد على البروزا المغريات المادية. أما أسباب الخيانة فتعود إما إلى ضعف الوازع الأخلاقي

في نفوس هؤلاء أو إلى أطماعهم السياسية وخوفهم الدائم من العدو، أو إلى فقرهم وسوء حالتهم المعيشية، مما أجبر بعضهم على التجند في صفوف العدو (القومية- الحركة- السياق- المخزنة- الغسَّار). وهناك طائفة من السكان كانت تستغل الشعب في الماضي، ورأت في المحتل الجديد فرصة لتحافظ على امتيازاتها. وكانت تتعرف بنفسها أن تكون في مستوى الشعب الفقير - وهو يمثل غالبية السكان - والذي كان خادما لها. "وتحت ظلال الخزي والعار مثلت بعض الأدوار المخلجة، لكنها لم تفلت حتى هي نفسها من ضربات الاستعمار." وقد سمى محمد بن الأمير عبد القادر في كتابه "تحفة الزائر"، هذه الطائفة من الجزائريين بـ "القبائل المتصرة والمرتدية". ألم يقم أحد هؤلاء بإرشاد الفرنسيين إلى عاصمة الأمير "الزمالة" في شهر ماي من سنة 1843! كان من نتائج ذلك تنفيذ الفرنسيين لمذبحة شنيعة ضد ساكنيها وحراسها، على حين غفلة وفي غياب الأمير، كما كان من نتائجها القضاء على مكتبة الأمير الثمينة مما جعله يحزن عليها حزن عظيما.

فلم تكن المرأة الجزائرية بعيدة عن أحداث البلاد، وهاهي تفضح هؤلاء "البيعة" و"المرتدية" و"بياعين دينهم" وتقول:

"البيعة شحال يدوروا وليصلوا الأخبار للبيرو أو: كي ندير لك يا حبيبي أجيب جات وجابها بياع دينه كي ندير لك يا حبيبي لجيب جات وجابها مرايدي."

60 محمد قناتش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحبيب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص: 263
61 محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مفكر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903، ص: 263
62 Bureau 2م "البيرو: "كلمة فرنسية تعني مكتب، ويقصد بها الاستعمارية العسكرية التي كانت تتابع السكان خلال الثورة وتعاقبهم أشد العقاب إذا ما ثبت تورطهم فيها أو لمجرد الشك في ذلك. Mrazandie: كلمة فرنسية يقصد بها الخاضع لسلطة العدو. 63
لقد تمكن السلطة الفرنسية أحيانا كثيرة من تمزيق القيادات الجزائرية، "غير أنها لم تتمكن من تمزيق الشعب الجزائري، ونجحت في تكوين فئة من العمال، غير أنها لم تتمكن من تحطيم ما يملكه الشعب من أنفسه وكيرباه."  

4- مرحلة الاستقلال والفرحة التي عمت الأرجاء: دامت الثورة التحريرية سبع سنوات ونصف ذاق فيها الشعب الجزائري مختلف أنواع المحن، فلم يكن من المنطقي أن يعبر الناس عن أفراحهم آنذاك أو أن يحتفلوا بأعيادهم، وللذى أصدرت جبهة التحرير الوطني قادّة الجماهير الجزائرية أورسها للشعب كي يمتنع عن إقامة كثير من مظاهر الأفراح التي تعود على إقامتها مثل مناسبات الأعراس وذبح الأضاحي وغير ذلك من المظاهر والوسائل الدائمة على الفرح والسرور، ودعوة للإقصاد في الإمكانيات. وقد عبرت المرأة آنذاك عن حزئها وامتناعها عن التعبير عن أي فرح كان:

ما تفرح ما نديرة الحنة غير إلى جانب وليذ أم. ولكن هاهو الاستقلال قد بان وظهر، فالفتره جميلة ولتعلن عن ذلك على الملاء، جميلة (بوحيرد - بوشاش - بوعزة) 65 هي رمز الإباء والتضحيه والفاء، و"قصة جميلة بوحيرد ... نموذج لبطولة المرأة الجزائرية وصمودها الشامخ شموخ جبال الجزائر، بل تحولت أيضا إلى مهرج قوي للعديد من الأفلام الأدبية والسياسية في العالم... تبرهن على عدالة قضية هذا الشعب." 66

والتصدع الحناء في بديها بعد سنين من الكفاح، فقد زال الكدر وانمحى ليل الاستعمار بلا رجعة، ولتهناء البلاد بأبنائها، وليقموا دولتهم ويوسوسوا لمستقبلهم آمنين مطمئنين:

64 بسام العدلية، المقاومة الجزائرية للإحتلال الفرنسي، دار النفياس، بيروت 1983، ص.
66 تفسه.
ولا صبروا بنات الوطن! لانجيري 67 أدى الخريطة الاستقلال أداها بارود فرّشوا للرجل وبنٍ بات والدزاير عمّت البلاد القونصوة والغربية 68 أولاد الدزاير متحزمة بالراغش بالمشغليين النيران الزعما في الحداد.

وقد واصلت المرأة إبداعاتها الجماعية هذه معبرة عن كل ما يختبئ في وجدانها من مطامح وأمال وأآلام، مسجلة الأحداث بطريقةها، وهي تتتابع أحداث ما بعد الاستقلال، من ذلك مقتتل محمد خميستي وزير الخارجية في أول حكومة للجزائر المستقلة في عهد الرئيس أحمد بن بلي، وتقول:

بن بنلة وبن كانع عينيك خميستي صبركٍ بين إديك.

والمعروف أن محمد خميستي (1930-1963) تم اغتياله يوم 11-4-1963 عند خروجه من إحدى جلسات الجمعية الوطنية وهو رفقة زوجته العضو في المجلس نفسه. 71

67 لانجيري: تعني الجزائر.
68 القونصوة: يعني به الفرنسي. وعربية: يعني الجزائري، أي أن الحكم انتقل من الفرنسى (القونصوة) إلى الجزائري (عربية).
69 أي أن الجزائريين قضاوا على الإدارة الاستعمارية (البوار) وحلوا محلها إدارة وطنية (حكومة).
70 أي أنا ذاهب إلى الإدارة الجزائرية والحكم الجزائري دون خوف مثلما كنا سابقًا. وأنا في كامل الحرية (راضي عريق: تعبير مجازي).
71 أنظر:
الخصائصات الفنية

إن ما يلاحظ فنًا على هذه الأبيات الشعرية الشعبية أنها قريبة
صلبة من الحديث اليومي المحلي السائر بين الناس، لأنها صادرة
عن أشخاص من جمهور الشعب، وأنها لا تخص للآوامر
الشعرية المعهودة، بل هي أقرب في كثير من الأحيان إلى النثر.

وقد حاولت المرأة المدعة أن تقدم هذه الأبيات بقافية محددة حتى
تكون هناك متعة موسيقية، تعبيراً عن الإفصاحات النفسية تعبيراً
موقعاً، يصل إلى أذن السامع رناناً خفيفاً منتظمًا. وتتميز بعض
الأبيات المفقاتية بتشابه في قافية شطرية البيت الواحد مثل:
أ الزغمة نوّاز الجبال
وزيّش فرانسا راهد نبالي
أو:
شكون حل الفتحة نتاع النابور
جمال الناصر المذكور.

ويلاحظ أيضًا أن هناك كلمات أجنبية ذالت أصل فرنسي وردت
في النصوص، تأتيت بها اللغة اليومية للجماهير الشعبية نتيجة
الإحتكاك الطويل مع الفرنسيين وارتباط المصالح، وقد وردت هذه
الكلمات أكثر في اسماء الآلات والأجهزة المختلفة التي لم تجد لها
المرأة العامة تظريها لها في لغتها اليومية (البيرو- المورطي- الطنلك- السبط- فرملية - الصانقيل- الكار..اليخ). لقد أصبحت اللغة
الفرنسية هي لغة العلم والقوة والحضارة، وأصبحت العربية
مغلوبة على أملها في عقر دارها، و"الملغوب مولع أبداً بالإقتساء
بالغالب في شعره وزيه ونجلته وسائر أحواله وعواناه."72

وردت أوصاف وأسماء مختلفة للفرنسيين المستعرين
منها: الكافر- ابن الخنزير - أولاد العجل- الفونصو - لاليجو-
ديغول- فرانسا.


72 عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، كتاب العبر وديوان الدنيا والخير في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأول، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت 2003، ص: 111.
كما استعملت مصطلحات مرتبطة بالثورة والحرب منها مثل:
 ومن الكلمات والتعبير ذات المعنى الديني نجده: المجاهد- سيدي ربي- الجدة- إن شاء الله- عاونهم يا العزيز ربي- اللي دارها ربي الساع تكون- النوى عند مولانا.
 ومن الكلمات والتعبير المحلية الخاصة بالمنطقة التي تدل على الحياة البدوية في الجنوب الجزائري نجد: الصحراء- عين الصفراء- الشبي(الشواء)- الدوار- صهد الحممان- جبل العمر- القافلة..الخ.
 وبعد تعداد الكلمات المكررة أكثر، توصلنا إلى أن الكلمات الدالة على الجندي الجزائري المحارب هي الأكثر ورودا من غيرها رغم اختلاف التسميات. وهذا يؤكد القصد الأساسي من هذه النصوص وهو التغني بالبطل بذكر خصائصه والإشادة بها لاستنهاض الهمم والتنقيس عن الخلجات، وقد ارتكزت الإبداعات الشعبية في رسم البطل على مرتكزات دينية واجتماعية، استمدت قوتها من ذلك الصراع القائم بين المستعمر الغازي للبلاد منذ القدم والقوى المحلية المدافعة عن النفس وعن خصوصية هذه الأمة؛ لذا قدمت عناصر البطولة على أنها نابعة من التراث ومن الصراع القائم بين الشرق والغرب ومن معطيات العصر في إطار الحرب والسلام.

والخلاصة
أن المرأة الجزائرية شاركت في أحداث البلاد بكل ما لديها من جهد بدني ومعنوي وبالكلمة الشفوية تُغني بها لثير حمس المجاهدين والمجاهدات وتدفع بعجلة الثورة إلى الأمام بصمود وجرأة، مما يزيد الثور إصرارا وعنادا أكثر. وكانت تقدم المثال بشجاعتها وتضحياتها في سبيل الحرية، فكان منها المجاهدة والشهداء مثل: حسية بن بوعلي ووريدة مداد ومليحة حميدو وغيرهن كثيرات من المجهولات في السهول والجبال وفي التلال والصحاري.

فالمرأة بمشاركتها المباشرة في الثورة ودعمها وتشجيعها للأخرين بواسطة المساعدات المتعددة وبرزرتها في حالة النصر والإستشهاد على حد سواء وباشرتها، لم تقم سوى بواجبها تجاه الوطن الذي كان ولا يزال في حاجة إلى تعاون كل أبنائه.

المصادر الشفوية:
- من جمع فاطمة طيبى، معلمة بعين الصفراء 1987 من لدن الروايات:
- فاطمة 60 سنة. - عابدة 56 سنة. - عربية 70 سنة. - حادة 70 سنة.
- الجراحية 46 سنة. - آمنة 40 سنة. - مربحة 44 سنة.